

تَذْكِيرُ الْمُرْتَابِ بِحُكْمِ إِسْمَالِ الثِّيَابِ

جمع لإقوال الأئمة والعلماء في حكم الإسمال
مع جواب أدلة القائلين بالجواز

إِعْدَادُ

أَبُو مُقْبِلٍ رِضْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُ الْأَثَرِيِّ الْمَغْرِبِيِّ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وبه أستعين وعليه أتوكل وهو المعين ؛ وبعد ،
فهذا بحث متواضع مختصر، تناولت فيه مسألة إقبال الشيا وإطالتها إلى ماتحت
الكعبين، وحكم ذلك في الدين ، معتمدا على أقوال العلماء، والأئمة الألباء من سلفنا
الصالح ، وفي مقدمتهم أعلم الناس :رسول الله - صلوات ربي وسلامه عليه - ، ومن كان
معه من أصحابه - رضي الله عنهم أجمعين - ، ومن تلاهم من التابعين والأئمة العدول
والراسخون في العلم من المعاصرين - رحمهم الله أجمعين وحفظ الأحياء منهم. آمين
- .

وأنصح القارئ اللبيب بتأمل ما سأنقله من أقوال من ذكرت من الأئمة الأعلام ، وذلك
بعد التجرد من التعصب للقائل.. ومعرفة أن العلماء مهما بلغوا في العلم واجتهدوا في

استنباط الأحكام الشرعية من الأحاديث النبوية فهم معرضون للخطأ ومجانبة الصواب , لكنهم (العلماء) يؤجرون على اجتهداهم وهم بين الأجر والأجرين . فلا يشنع على المخطئ منهم مادام من أهل السنة وتحفظ كرامته ولا يذكر إلا بخير , لكنه لا يتابع في خطئه بل ويضرب بقوله عرض الحائط متى خالف قوله قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما صح عن أئمة المذاهب وغيرهم ممن لا ينسبون العصمة لأنفسهم . وعلى طالب الحق أن لا يغتم هذه الفرص (تباين الأقوال) ليتبع رخص العلماء ! يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى : " من تتبع رخص كل عالم فقد تزندق أو كاد " . بل عليه بالدليل القوي والصحيح أينما كان , بغض النظر عن قائله .

وقد استهلت هذا البحث الموجز بسرد ماصح عنه - صلى الله عليه وسلم - في المسألة من الأخبار , ثم ماورد عن الصحابة من آثار , وبعد ذلك بأقوال العلماء الأخيار , وجعلتهم قسمين : من قال بالتحريم المطلق للإسبال , ومن أجاز به بشرط انتفاء المخيلة . ثم قمت بعد ذلك بجواب حجج القسم الثاني من العلماء وتبيان بطلان مارتكزوا عليه في أقوالهم . والحمد لله .

تنبيه لا بد منه !

أحببت أن أنبه هنا إلى أن جل البحث نقولات فقط , وليس فيه من كلامي شيء - كما سيتبين للقارئ - باستثناء ما أشير إليه في الحاشية بقولي : " قلتُ : .. " فذاك من تعليق العبد الفقير . وأنبه أيضا إلى أنني تصرف في بعض النقولات وذلك اختصارا لوقت القارئ ؛ واكتفيت بنقل الشاهد من الكلام وبيت القصيد بدون إخلال بالمعنى مع الإحالة إلى الأصل والمصدر ؛ والحمد لله .

والغاية من هذا كله هو الاستفادة الشخصية أولا , وإفادة غيري ثانيا وأخيرا . هذا ولا أنسى أن أشكر الله تعالى على إعانته وتيسيره لجمع هذا البحث الموجز , كما لا أنسى أن أشكر من كان السبب بعد الله - عز وجل - في جمع ما وسمته بـ (تذكير المرتاب بحكم إسبال الثياب) وذلك بعد إثارة هذا الأخير - وفقه الله - للمسألة في إحدى الجلسات .

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنِي لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ فَإِنْ أَصَبْتُ فَمِنْهُ - جَلَّ شَأْنُهُ - وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمِنْ الشَّيْطَانِ
كَمَا أَسْأَلُهُ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يَهْدِيَنَا سِوَاءَ السَّبِيلِ إِنَّهَا نِعْمَ النِّعْمَةُ وَنِعْمَ الْمُنَّةُ وَلِجِزَاءِ الْمُتَّقِينَ الْجَنَّةِ .

أَبُو مِقْبَلٍ رِضْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَبَّانٍ
دُوسلدُورْف - أَلْمَانِيَا

اللَّهُمَّ يَسِّرْ وَأَعِنْ ..

1- الأدلة الواردة في الإِسْبَالِ .

1- صحيح البخاري :

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار - (1) :
حدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني سالم أن ابن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة) تابعه عبد الرحمن بن خالد عن الزهري .(2)

(1) قلت : قال ابن حجر في الفتح: لم يقيده بالإزار , كما في الخبر إشارة إلى التعميم في الإزار والقميص وغيرها .

(2) البخاري 3226

حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة) فقال ابوبكر إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انك لست تصنع ذلك خيلاء . (3)

حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا سعيد ابن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) . (4)

حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا) . (5)

عن عمرو بن ميمون - رضي الله عنه - قال (6) : إني لقائم ما بيني وبينه (أي عمر رضي الله عنه) إلا عبد الله بن عباس غداة أُصيب ، وكان إذا مرّ بين الصفيين قال : استووا ، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدّم فكبر ، فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول : قتلني - أو أكلني - الكلب حين طعنه - ثم ذكر قصة نقله إلى بيته ثم قال - وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة . قال : وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي ، فلما أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرض قال : ردّوا عليّ الغلام . قال : يا ابن أخي ارفع ثوبك ، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك . (7)

ب - صحيح مسلم :

قلت : قال الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - في كتاب الإيمان ، باب بيان غلط تحريم إسهال الإزار :

(3) البخاري 3392 ; (4) البخاري 5349 ; (5) البخاري 5342

(6) قلت : فتأمل - يا رعاك الله - هذه الوصية العجيبة ووقتها ! دماؤه - رضي الله عنه - تسيل وهو يشرف على الموت والهلاك ومع ذلك كله لما رأى منظر إزار الشاب وقد مسّ الأرض لم يمنعه ما هو فيه من نصيحته برفع ثوبه ، مما يدل على أن هذا الفعل عنده أمر منكر لا يجوز السكوت عنه .
(7) رواه البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون في قصة مقتل عمر رضي الله عنه .

حدثني أبوبكر بن خالد الباهلي حدثنا يحيى وهو القطان حدثنا سفيان حدثنا سليمان الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة المنان الذي لا يعطي شيئاً إلاّ منه والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره

وحدثنيه خالد حدثنا محمد يعني ابن جعفر عن شعبة قال سمعت سليمان بهذا الإسناد وقال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . (8)
وحدثنا محمد بن المشي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت مسلم بن يثاق يحدث عن ابن عمر أنه رأى رجلاً يجر إزاره فقال ممن أنت فانتسب له فإذا رجل من بني لي فعرفه ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني هاتين يقول (من جر إزاره لا يريد بذلك إلا المخيلة فان الله لا ينظر إليه يوم القيامة) . (9)

حدثني أبو الطاهر حدثنا ابن وهب أخبرني عمر بن محمد عن عبد الله بن واقد عن ابن عمر قال : مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي إزاري استرخاء فقال : يا عبد الله ارفع إزارك فرفعته ثم قال زد فردت فما زلت أتحرها بعد (فقال بعض القوم إلى أين ؟ فقال : إلى أنصاف الساقين . (10)

ج - ما صحّ عن غيرهما :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رجل يصلي مسبل إزاره قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذهب فتوضاً " , فذهب فتوضاً ثم جاء , فقال : " اذهب فتوضاً " , فقال له رجل : يا رسول الله , ما لك أمرته أن يتوضاً ثم سكت عنه ؟ , قال : " إنه كان يصلي و هو مسبل إزاره , و إن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل " . (*)

(8) مسلم 155

(9) مسلم 3890

(10) مسلم 3892

(*) إسناده صحيح على شرط مسلم : (رياض الصالحين 267/1) (روضة المحدثين رم 3294).

قال الألباني : ضعيف (صحيح وضعيف السنن الأربعة) ؛ المشكاة (761) .

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

لا تسبن أحدا ولا تحقرن شيئا من المعروف وأن تكلم أخاك وأنت نبيسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف وارفع إزارك إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين وإياك وإساءة الإزار فإنها من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه . (11)

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ مَنْ جَرَّ شَيْئًا خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . (12)

وجاء في حديث جابر بن سليم الهجيمي : " وإياك وإساءة الإزار فإن إساءة الإزار من المخيلة ولا يحبها الله " . (13)

وعن قتادة و غيره أن ابن مسعود رأى رجلين يصليان أحدهما مسبل إزاره والأخر لم يتم ركوعه ولا سجوده فضحك . فقالوا : ما يضحكك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : عجبت لهذين الرجلين أما المسبل إزاره فلا ينظر الله إليه ، وأما الآخر فلا يتقبل الله صلاته . (14)

وعن العلاء بن عبد الرحمن رضي الله عنه عن أبيه قال سألت أبا سعيد عن الإزار فقال على الخير بها سقطت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أزرة المؤمن إلى نصف الساق ولا حرج أو قال لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من ذلك فهو في النار ومن جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة . (15)

(11) الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للإمام الوادعي - رحمه الله - .

(12) رواه أبو داود 4049 وصححه الألباني .

(13) صححه الألباني \ صحيح الجامع 98.

(14) رواه الطبراني وإسناده منقطع بين ابن مسعود و قتادة ورجاله ثقات؛ أنظر (مجمع الزوائد للهيثمي)

(15) مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه؛

وصححه الألباني في صحيح الترغيب و الترهيب 2031 .

د- الآثار .

عن جرّموز المرادي قال : رأيت عليا بن أبي طالب وهو يخرج من القصر , وعليه قطريتان
أزاره الى نصف الساق ورداء قريب منه , معه درة له يمشي في الاسواق , ويأمر بتقوى الله .. - وعن
أبي اسحاق قال : رأيت ناسا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يأترون إلى أنصاف
سوقهم ؛ فذكر :

أسامة بن زيد ؛ ابن عمر ؛ زيد بن أرقم ؛ والبراء بن عازب . - رضي الله عنهم أجمعين - . (16)

وعن أبي الجويريه قال رأيت إزار ابن عباس إلى نصف ساقه أو فوق ذلك وعليه قطيفه روميه وهو
يصلي . (17)

وقال عبد الله ابن مسلم أخو الزهري : رأيت ابن عمر وإزاره الى انصاف ساقه والقميص فوق الإزار
والراء فوق القميص . (18)

وروى ابوخيثمه زهير بن معاوية قال : سمعت أبا اسحاق السبعي يقول : ادركتهم وقمصهم الى نصف
الساق .

2- حكم الإسهال في الإسلام .

(16) صحيح الاسناد رواه ابن أبي شيبه (5/167) .

(17) صحيح سير اعلام النبلاء (3/355) .

(18) اسناده صحيح رواه عبد الرزاق في مصنفه (11/84 _ رقم 19989)

والبيهقي في شعب الايمان.

قلت : إتفق علماء أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا على تحريم الإساءة المقرون بالخيلاء (19) والتكبر. بل منهم من عدّه من قبيل الكبائر، لما صح عنه - صلى الله عليه وسلم - من الأحاديث التي تتوعد المسبل بعقاب شديد من الله - عز وجل - وذلك بعدم نظره - تعالى - إلى المسبل بل وعقابه في الدنيا والآخرة - كما مرّ معنا في الأدلة. إلا أنهم - رحم الله الأموات منهم وحفظ الأحياء - اختلفوا في حكم الإساءة إذا لم يقصد صاحبه التكبر (!) ، فتباينت أقوالهم بين مُحَرَّم بإطلاق (سواء قُصِدَ بالإساءة التكبر والبطر أو لم يقصد) ومُجِزٍ لها بتقييد (وهو انتفاء المخيلة وخلو المسبل منها) .

أ- القائلون بجواز الإساءة بشرط انتفاء المخيلة (20) :

قال الإمام النووي - رحمه الله- :
 " .. يحرم اطالة الثوب والإزار والسرراويل على الكعبيين للخيلاء ، ويكره لغير الخيلاء ، نص عليه الشافعي في (البويطي) وصرح به الأصحاب (المجموع) شرح (المهذب) .." إه
 وقال أيضا :
 " .. وأما قوله صلى الله عليه وسلم : " المسبل إزاره " فمعناه المرخي له الجار طرفه خيلاء كما جاء مفسرا في الحديث الآخر " لا ينظر الله الى من يجر ثوبه خيلاء " ، والخيلاء الكبر وهذا التقييد بالجر خيلاء يخصص عموم المسبل إزاره ويدل على أن المراد بالوعيد من جره خيلاء . وقد رخص النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال : " لست منهم " ، إذ كان جره لغير الخيلاء . " إه (21)

إبن مفلح الحنبلي - رحمه الله - :
 " .. قال صاحب 'المحيط' من الحنفية : " وروي أن أبا حنيفة رحمه الله ارتدى برداء ثمين قيمته أربعمئة دينار ، وكان يجره على الأرض فقبل له : أولسنا نهينا عن هذا ؟ فقال : إنما ذلك لذوي الخيلاء ولسنا منهم .. " إه (22) .

(19) الخيلاء : التكبر، والمخيلة. يقال: رجل خال ومختال شديد الخيلاء ، وكل ذلك من البطر والكبر والله لا يحب المتكبرين، ولا يحب كل مختال فخور. [ابن عبد البر - التمهيد 3/244]

و قال ابن عبد البر - رحمه الله - :

".. وهذا الحديث يدل على أن من جرّ إزاره من غير خيلاء ولا بطر ، أنه لا يلحقه الوعيد المذكور .
غير أن جرّ الإزار والقميص وسائر الثياب مذموم على كل حال . وأما المستكبر الذي يجر ثوبه فهو
الذي ورد فيه ذلك الوعيد الشديد.." إهـ (23) .

و قال الشوكاني - رحمه الله - :

" الحديث يدل على تحريم جر الثوب خيلاء . والمراد بجره هو جره على وجه الأرض وهو الموافق
لقوله صلى الله عليه وسلم : "ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار". وظاهر التقييد بقوله : خيلاء ,
يدل بمفهومه أن جر الثوب لغير الخيلاء لا يكون داخلا في هذا الوعيد . " إهـ (24) .

وجاء في (طرح الشريب) للحافظ أبي زرعة العراقي - رحمه الله - :

"..التقييد بالخيلاء يخرج ما إذا جره بغير هذا القصد , ويقتضي أنه لا تحريم فيه وقد تقدم من
صحيح البخاري وغيره قول أبي بكر رضي الله عنه : " إن أحد شقي ثوبي يسترخى إلا أن أتعاهد ذلك
منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لست تصنع ذلك خيلاء " وبوب البخاري في صحيحه
باب : من جر إزاره من غير خيلاء , وأورد فيه هذا الحديث وحديث أبي بكر : " خسفت الشمس
ونحن عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام يجر ثوبه مستعجلا حتى أتى المسجد ... الحديث " . اهـ

(20) قلت : وقد اعتمدت في هذا القسم على بحث لأحد طلبة العلم ممن جاز الإسهال وسمه ب : طرُحُ
العِتاب في جواز إسهال الثياب . (!) - (وذلك بتصرف وزيادة في مواطن ونقص في مواطن أخرى) ..
والحمد لله .

(21) شرح صحيح مسلم للنووي رحمه الله (2/116) .

(22) الآداب الشرعية / فصل (مقدار طول الثوب للرجل والمرأة وجر الذبول) .

(23) التمهيد 3/ 244 .

(24) نيل الأوطار .

و قال الباجي - رحمه الله - :

" .. قوله صلى الله عليه وسلم " الذي يجر ثوبه خيلاء " يريد كبرا . وقال عيسى بن دينار عن ابن القاسم : الخيلاء الذي يتبختر في مشيه , ويختال فيه ويطيل ثيابه بطرا من غير حاجة إلى أن يطيلها ولو اقتصد في ثيابه ومشيه لكان أفضل له , قال الله عز وجل (والله لا يحب كل مختال فخور) . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أرخص في الخيلاء في الحرب , وقال : " إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع " . ومعنى ذلك والله أعلم لما فيه من التعاضم على أهل الكفر والاستحقار لهم والتصغير لشأنهم . " إه

و قال أيضا : وقوله صلى الله عليه وسلم " الذي يجر ثوبه خيلاء " يقتضي تعلق هذا الحكم بمن جره خيلاء أما من جره لطول ثوب لا يجد غيره أو عذر من الأعذار فإنه لا يتناوله الوعيد . وقد روي " أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع هذا الحديث قال : يا رسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء " . وروى الحسن بن أبي الحسن البصري عن أبي بكرة : " خسفت الشمس ونحن عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام يجر ثوبه مستعجلا حتى أتى المسجد " . اهـ (24).

وجاء في فيض القدير للمناوي - رحمه الله - :

" .. أي محل الإزار " ففي النار " حيث أسبله تكبرا كما أفهمه خبر " لا ينظر الله إلى من يجر ثوبه خيلاء " فكفى بالثوب عن بدن لا بسه ومعناه : أن الذي دون الكعبين من القدم يعذب عقوبة له فهو من تسمية الشيء باسم ما جاوره أو حل فيه . "

و فيه أيضا : (المسبل إزاره) الذي يطول ثوبه ويرسله إذا مشى تيهاً وفخراً (خيلاء) أي يقصد الخيلاء بخلافه لا بقصدها ولذلك رخص المصطفى صلى الله عليه وسلم في ذلك لأبي بكر حيث كان جره لغير الخيلاء. اهـ (25)

(24) المنتقى 22/ 7

(25) فيض القدير 5/420

و قال السيوطي - رحمه الله - :

" ما أسفل من ذلك " ، (ما) موصولة و (أسفل) بالنصب خبر كان محذوفة والجملة صلة. ويجوز كون (ما) شرطية و (أسفل) فعل ماض . (ففي النار) أي محله من الرجل وذلك خاص بمن قصد به الخيلاء (26)

2- القائلون بالتحريم مطلقا :

قال الأمير الصنعاني : " وقد دلت الأحاديث على أن ما تحت الكعبين في النار ، وهو يفيد التحريم . ودل على أن من جرّ إزاره خيلاء لا ينظر الله إليه ، وهو دال على التحريم ، وعلى أن عقوبة الخيلاء عقوبة خاصة هي عدم نظر الله إليه ، وهو مما يُبطل القول بأنه لا يحرم إلا إذا كان للخيلاء . اهـ (27)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - :

"فجواباً عن سؤال نصّه : (وسئل عن طول السراويل إذا تعدّى عن الكعب ، هل يجوز ؟) - طول القميص والسراويل وسائر اللباس إذا تعدى ليس له أن يجعل ذلك أسفل من الكعبين كما جاءت بذلك الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم " . (28)

ونقل ابن حجر عن القاضي عياض . رحمهما الله . الإجماع في منع الرجال من الإسبال دون النساء فيرخين شبرا أو ذراعا من الكعبين أو من نصف الساق. (29)

وقال أيضا :

وفي هذه الأحاديث أن إسبال الإزار للخيلاء كبيرة، وأما الإسبال لغير الخيلاء فظاهر الأحاديث تحريمه أيضا. " اهـ (30)

(26) تنوير الحوالك (1/217)

(27) (استيفاء الأقوال في تحريم الإسبال على الرجال. ص 26) للصنعاني (بتصرف) - فراجع له لزاما .

(28) مجموع الفتاوي (22/144)

(29) فتح الباري (10/259)

(30) فتح الباري (10/263)

قال ابن العربي: لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول: لا أجره خيلاء؛ لأن النهي قد تناوله لفظاً، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكماً أن يقول: لا أمتثله لأن تلك العلة ليست في، فإنها دعوى غير مسلمة؛ بل إطالته ذيله دالة على تكبره. إهـ (31)

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب ما نصه :
ومن الأصول التي تدور عليها الأحكام حديث: "إنما الأعمال بالنيات"، وحديث "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، وحديث: "الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه" فكل أمر ينبغي لذوي العقول أن يتركوا ما تشابه منه، قد يقع فيه خلاف من بعض العلماء، فلا ينبغي أن يرخص لنفسه في أمر قد ظهرت فيه أدلة التحريم، فاجتنابه من تقوى الله وخوفه، وتركه مخافة الله من الأعمال الصالحة، التي تكتب له حسنات. ومما يجب النهي عنه: الإيسال، كما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح: "ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار"، (32) وفي الحديث: "بينما رجل يجر إزاره خيلاء، أمر الله الأرض أن تأخذه؛ فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة". (33) إهـ (34)

قال الشيخ بكر أبو زيد في كتابه الماتع - حد الثوب والأزرّة وتحريم الإيسال ولباس الشهرة : ..
ورد النهي عن الإيسال مطلقاً في حق الرجال، وهذا بإجماع المسلمين، وهو كبيرة إن كان للخيلاء، فإن كان لغير الخيلاء فهو محرم مذموم في أصح قولي العلماء، والخلاف للإمام الشافعي والشافعية إنه إذا لم يكن للخيلاء فهو مكروه كراهة تنزيه، على أنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقضي بأن مجرد الإيسال خيلاء .

(31) عارضة الأحوذى 10/264

(32) سبق تخريجه في مطلع البحث

(33) المصدر السابق

(43) مسائل نجدية (ص 12)

وذهب بعض الأئمة إلى بطلان صلاة المسبل وهو مذهب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل وابن حزم إلى أن قال - وفقه الله - :

استدل المبطلون لوضوء وصلاة المسبل بما يأتي:

1. بما أخرجه أبوداود بإسناد صحيح على شرط مسلم كما قال النووي في رياض الصالحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بينما رجل يصلي مسبل إزاره، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب فتوضأ؛ فذهب فتوضأ ثم جاء، فقال: اذهب فتوضأ؛ فقال له رجل: يا رسول الله، مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه؟ قال: إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره، وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل". أبوداود 638 (*)

2. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أسبل إزاره في صلاته خيلاء فليس من الله في حل ولا حرام". أبو داود 637
قال الشيخ متابعاً ومعلقاً على هذه الأحاديث :

"..لشدة تأثير الإيسال على نفس المسبل، وما لكسب القلب من حالة وهيئة منافية للعبودية، منافاة ظاهرة، أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسبل بإعادة الوضوء، وأن الله لا يقبل صلاة مسبل، وحمل الفقهاء ذلك الحديث على الإثم مع صحة الصلاة، كحال فيمن صلى في كل ثوب يحرم لبسه، وفي الدار المغصوبة، وكما في تحريم آنية الذهب والفضة اتخاذاً واستعمالاً، وتحريم الوضوء منهما، خلافاً لابن حزم، ومذهب أحمد القائل ببطلان وضوء المسبل صلاته، وأن عليه الإعادة لهما غير مسبل، نعم، لا يصلي المسلم خلف مسبل اختياراً". (35)

قال الصنعاني - رحمه الله - في سبل السلام :

وقد صرحت السنة أن أحسن الحالات أن يكون إلى نصف الساق كما أخرجه الترمذي والنسائي عن عبيد بن خالد قال: كنت أمشي وعلي برد أجره فقال لي رجل: ارفع ثوبك فإنه أبقى وأنقى فنظرت فإذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إنما هي بردة ملحاء فقال: مالك في أسوة؟ قال: فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقه... إلى أن قال :... فقال النووي وغيره: إنه مكروه

(*) قُلت : سبق نقل تخريجه في مستهل البحث ؛ قال الألباني : حديث ضعيف [السلسلة الضعيفة برقم 638] . وقال في موضع آخر : فيه أبو جعفر وهو (المؤذن الأنصاري) ، : مجهول كما نص عليه غير واحد. مخرج في " ضعيف أبي داود " (97) وغيره . إهـ

وقد يتجه أن يقال: إن كان الثوب على قدر لابس له لكنه يسدله فإن كان لا عن قصد كالذي وقع لأبي بكر فهو غير داخل في الوعيد، وإن كان الثوب زائداً على قدر لابس له فهو ممنوع من جهة الاسراف، محرم لاجله ولاجل التشبه بالنساء، ولاجل أنه لا يأمن أن تتعلق به النجاسة.

وقال ابن العربي: لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه فيقول: لا أجره خيلاء لأن النهي قد تناوله لفظاً، ولا يجوز لمن يتناوله اللفظ أن يخالفه إذ صار حكمه أن يقول لا أمثله لأن تلك العلة ليست في، فإنها دعوى غير مسلمة بل إطالة ذيله دالة على تكبره اهـ . وحاصله: أن الإيسال يستلزم جر الثوب، وجر الثوب يستلزم الخيلاء ولو لم يقصده اللابس، وقد أخرج ابن منيع عن ابن عمر في أثناء حديث رفعه إياك وجر الأزار فإن جر الأزار من المخيلة وقد أخرج الطبراني من حديث أبي أمامة وفيه قصة لعمر بن زرارة الأنصاري إن الله لا يحب المسبل والقصة أن أبا أمامة قال:

بينما نحن مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ لحقنا عمرو بن زرارة الأنصاري في حلة: إزار ورداء، وقد أسبل فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بناحية ثوبه ويتواضع لله ويقول: عبدك وابن عبدك وأمتك، حتى سمعها عمرو فقال: يا رسول الله إني حمش الساقين فقال: يا عمرو إن الله قد أحسن كل شيء خلقه إن الله لا يحب المسبل وأخرجه الطبري عن عمرو بن زرارة وفيه: وضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أربع أصابع تحت ركة عمرو وقال: يا عمرو هذا موضع الأزار ثم ضرب بأربع أصابع تحت الأربع ثم قال: يا عمرو وهذا موضع الأزار. الحديث ورجاله ثقات . إهـ (36)

علماء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية (37)

عبدالله بن قعود ، عبدالله بن غديان ، عبدالرزاق عفيفي ، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(35) قلت: وقد أجاد الشيخ - حفظه الله - في رسالته وأفاد؛ فمن أراد الإستزادة، وكانت له الإرادة؛

فليرجع لرسالته الموسومة بـ (حد الثوب والأزرة وتحريم الإيسال ولباس الشهرة) - مشكورا غير مأمور -

(36) الصنعاني \ سبل السلام

(37) قلت: والقول بالتحريم هو اختيار أكثر علمائنا المعاصرين: كالإمام ابن باز، والإمام ابن عثيمين

والإمام الألباني والشيخ صالح الفوزان وعلماء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وهيئة كبار العلماء

وغيرهم كثير .

س: رجل يلبس الثوب أو السروال تحت الكعبين ويحلق اللحية ويقوم للإمامة فهل يجوز له؟ وإذا كان يوجد أتقى وأقرأ وصاحب لحية ومتبع للسنة موجود في تلك الصلاة فما حكم تلك الصلاة؟

ج: لبس الملابس الطويلة التي تصل إلى ما تحت الكعبين حرام، سواء كانت قميصاً أم سراويل؛ لعموم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أسفل الكعبين من الإزار فهو في النار» رواه الإمام أحمد والبخاري في صحيحه، وقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره والمنان في ما أعطى والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» رواه مسلم في صحيحه. وحلق اللحية حرام لقوله صلى الله عليه وسلم «قصوا الشوارب وأعفوا اللحى وخالفوا المشركين» متفق على صحته. أما كشف الرجال رؤوسهم فمباح؛ لأن الرأس ليس بعورة بالنسبة للرجل، ولا يجوز أن يصلي مسبل الإزار إلى ما تحت الكعبين ولا حالق اللحية إماماً بمن يعفي لحيته ولا يسبل إزاره؛ لعدم أهليته لذلك بسبب إسباله وحلق لحيته، لكن لو صلى بالناس صحت صلاتهم، إذا كانت قراءته للفاتحة صحيحة سليمة واطمأن في صلاته، وينبغي الاجتهاد في نصحه ليكف عن الإسبال وحلق اللحية، عسى أن يهديه الله، فإن أبى سعي في منعه من الإمامة وإبداله بمن يلتزم بالحق.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .. (38)

قال العثيمين - رحمه الله - :

" .. إسبال الإزار إذا قصد به الخيلاء فعقوبته أن لا ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب أليم ، وأما إذا لم يقصد به الخيلاء فعقوبته أن يعذب منازل من الكعبين بالنار لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ؛ المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب " ، وقال : " من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة " ، فهذا فيمن جر ثوبه خيلاء . "

وقال أيضا :

" .. وأما من لم يقصد الخيلاء ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار " ، ولم يقيد ذلك بالخيلاء . "

ولا يتضح أن يقيد بها بناء على الحديث الذي قبله ، لأن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إزره المؤمن إلى نصف الساق ولا حرج - أو قال لا جناح - عليه فيما بينه وبين الكعبين ، وما كان أسفل من ذلك فهو في النار ، ومن جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه يوم القيامة " رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه ، ولأن العاملين مختلفان والعقوبتين مختلفتان ومتى اختلف الحكم والسبب امتنع حمل المطلق على المقيد لما يلزم على ذلك من التناقض .

وقال أيضا :

" ثم إن بعض الناس إذا أنكر عليه الإسهال ، قال : إنني لم أفعله خيلاء . فنقول له : الإسهال نوعان ؛ نوع عقوبته أن يعذب الإنسان عليه في موضع المخالفة فقط ، و هو ما أسفل من الكعبين بدون خيلاء ، فهذا يعاقب عليه في موضع المخالفة ؛ و هو ما نزل عن الكعبين ، و لا يعاقب فاعله بأن الله لا ينظر إليه و لا يزكيه . و نوع عقوبته أن الله لا يكلمه و لا ينظر إليه يوم القيامة و لا يزكيه و له عذاب أليم ، و هذا فيمن جره خيلاء ، هكذا نقول له . "إهـ

قال فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله الفوزان في فتاواه :

يرى البعض أن تطويل الثياب لما تحت الكعبين لا بأس به في الوقت الحاضر لسببين :

الأول : إذا كان القصد ليس الكبر والخيلاء ؟

الثاني : أن الشوارع والمنازل في الوقت الحاضر أصبحت نظيفة وطاهرة . ما رأيكم في ذلك ؟

الجواب :

لا يجوز للذكر إسهال الثياب تحت الكعبين لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وتوعده عليه بالنار فهو من الكبائر - وإذا كان الإسهال من أجل الكبر والخيلاء فهو أشدّ إثماً . وإن خلا من الكبر والخيلاء فهو محرم أيضاً لعموم النهي . وقول القائل إن الشوارع نظيفة فلا مانع من الإسهال هو من الكلام السخيف الذي لا قيمة له وقائله جاهل لا عبرة به وبقوله .

سئل ابن باز - رحمه الله - :

س - في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ما معناه أن الذي يسبل ثيابه في النار ، فنحن ثيابنا تحت الكعبين وليس قصدنا التكبر ولا الافتخار وإنما هي عادة اعتدنا عليها فهل فعلنا حرام ، وهل الذي يسبل ثيابه وهو مؤمن بالله يكون في النار . أرجو الإفادة ؟

ج - لقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار) رواه الإمام البخاري في صحيحه ، وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المسبل إزاره والمنان في ما أعطى والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وهي تدل على تحريم الإساءة مطلقاً ولو زعم صاحبه أنه لم يرد التكبر والخيلاء لأن ذلك وسيلة للتكبر ، ولما في ذلك من الإسراف وتعريض الملابس إلى النجاسات والأوساخ ، أما إن قصد بذلك التكبر فالأمر أشد والإثم أكبر لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة) ، والحد في ذلك هو الكعبان ، فلا يجوز للمسلم الذكر أن تنزل ملابسه عن الكعبين للأحاديث المذكورة ، أما الأئمة فيشرع لها أن تكون ملا بسها ضافية تغطي قدميها ، وأما ما ثبت عن الصديق رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن إزاري يرتخي إلا أن أتعاهده ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (إنك لست ممن يفعله خيلاء) فالمراد بذلك أن من ارتخى إزاره بغير قصد وتعاهده وحرص على رفعه لم يدخل في الوعيد لكونه لم يتعمد ذلك ، ولم يقصد الخيلاء وهذا بخلاف من تعمد إرخاءه فإنه متهم بقصد الخيلاء وعمله وسيلة على ذلك والله سبحانه هو الذي يعلم ما في القلوب ، والنبي صلى الله عليه وسلم أطلق الأحاديث في التحذير من الإساءة وشدد في ذلك ، ولم يقل من أرخاها بغير خيلاء ، فالواجب على المسلم أن يحذر مما حرم الله عليه ، وأن يبتعد عن أسباب غضب الله ، وأن يقف عند حدود الله يرجو ثوابه ويخشى عقابه عملاً بقول الله سبحانه وتعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) وقوله عز وجل (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وفق الله المسلمين لكل ما فيه رضاه وصلاح أمرهم في دينهم ودنياهم إنه خير مسؤول . مجموع فتاوى متنوعة .

وقال أيضا في موضع آخر :

.. النوع الثاني من الإساءة : أن يكون لغير الخيلاء ، فهذا حرام ويخشى أن يكون من الكبائر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم تواعد فيه بالنار ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار)) . ولا يمكن أن يكون هذا الحديث مخصصاً بحديث ابن عمر رضي الله عنهما ، لأن العقوبة مختلفة ، ويدل لذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أزره المؤمن إلى

نصف الساق ولا حرج ، أو قال : لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ، وما كان أسفل من ذلك فهو في النار ، ومن جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه)) . رواه مالك ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه . ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بين من جر ثوبه خيلاء ومن كان إزاره أسفل من كعبيه . (مجموع الفتاوى المجلد الثاني عشر: باب الصلاة)

قال معالي الشيخ صالح آل الشيخ :

المهم أنّ الواجب على كل مسلم أن لا يُسدل إزاره لما تحت الكعبين ولا ثوبه ولا رداءه، بل هذا يحرم عليه وهو من كبائر الذنوب إذا استدّام و أعظم منه أن يفعل ذلك خيلاء، يعني تكبراً وطلباً للرفعة فإن هذا أعظم .

3- جواب من قال بتقييد الإيسال بالمخيلة والبطر .

أ - لكون الإيسال (نفسه) من المخيلة !

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي جري رضي الله عنه مرفوعاً ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " وإياك وإيسال الإزار فإنه من المخيلة " . وجاء في حديث جابر بن سليم الهجيمي : " وإياك وإيسال الإزار فإن إيسال الإزار من المخيلة و لا يحبها الله " . سبق تخريجه في مطلع البحث .

قال الإمام ابن باز رحمه الله - :

" فجعل الإيسال كله من المخيلة ؛ لأنه في الغالب لا يكون إلا كذلك ، ومن لم يُسبل للخيلاء فعمله وسيلة لذلك ، والوسائل لها حكم الغايات " .

وقال غيره : إن من يُسبل إزاره ويقول : لا أفعله خيلاء ، فيه تزكية لنفسه بقوله هذا ، والله عز وجل يقول : (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) مع ما فيه من مخالفة قول النبي صلى الله عليه وسلم ، كما تقدّم .

ب - حمل المطلق على المقيد في هذه المسألة باطل لا يصح وذلك من وجهين :

الوجه الأول : لا يصح حمل المطلق على المقيد في المنهيات :

قال الشيخ أبي عبد المعز الجزائري :
وقد اشترط الآمدي وابن الحاجب أن يكون حمل المطلق على المقيد في باب الأوامر والإثبات، أما جانب النفي والنهي فلا يصح؛ لأنه يلزم منه الإخلال باللفظ المطلق مع تناول النفي والنهي، وقالوا: لا خلاف في العمل بمدلولهما والجمع بينهما لعدم التعذر، فلو قال: لا تعتق مكاتباً، ثم قال: لا تعتق مكاتباً كافراً، لم يجزه أن يعتق مكاتباً لا كافراً ولا مسلماً. واختار الشوكاني هذا المذهب وقال: والحق عدم الحمل في النفي والنهي.

وقد يكون من قبيل التنصيص على أفراد بعض مدلول العام وبه قال الزركشي، فلو قال: «لا تسبل إزارك» وقال: «لا تسبل إزارك خيلاء» فصار الإسهال خيلاء من قبيل التنصيص على أفراد بعض مدلول العام الذي يؤكد العام في خصوصه ولا ينافيه أو يعارضه في عمومته، ولا موجب لتخصيص العموم بالمفهوم، ويؤيد هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوضح موضع الإزار في حديث عمرو بن فلان الأنصاري، فقال: «يَا عَمْرُو هَذَا مَوْضِعُ الْإِزَارِ»، فإنه ظاهر في عدم جواز تجاوزه، وهو عام للخيلاء ولغيره، وهو معنى حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلَ» فهو عام شامل للخيلاء وغيره، وإنما يشتد الإثم إن قصد الخيلاء. إه
وأنشد أحدهم :

وَ هَبْ كَمَا ادَّعَوْا هُنَا أَنَّ الْخَبَرَ
مُقَيَّدٌ بِالْخِيَلَا فِيهِ نَظَرُ
فَالْعَمَلَانِ اخْتَلَفَا وَ يَخْتَلِفُ
عِقَابُ مَنْ أَيَّهَمَا قَدْ اقْتَرَفَ
وَ ائْتَمَعَ مَتَى اخْتَلَفَ حُكْمٌ وَ سَبَبُ
حَمَلًا لِمُطْلَقٍ عَلَى قَيْدٍ وَجِبَ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْحَاذِقِ

وإنما الشرط لحمل المطلق

وُروُدهُ في الأمرِ والإِثباتِ لا

في النَّفيِ وَ النَّهيِ فيَجْني الخِلا

الوجه الثاني : حمل المطلق على المقيد لا يصح لاختلاف الحكم :

"..فقواعد الأصول في هذا الجانب تنصّ على :

أنه إذا اختلف الحكم واتحد السبب لا يُحمل المطلق على المقيد .

قال العلامة ابن عثيمين في الأصول : وإذا ورد نص مطلق، ونص مقيد وجب تقييد المطلق به إن كان الحكم واحداً، وإلا عمل بكل واحد على ما ورد عليه من إطلاق أو تقييد. إهـ

وأحاديث الإسهال لم يتحد فيها السبب ، وهو الإسهال ، بل اختلف السبب والحكم .

فالسبب ليس هو الإسهال فحسب ، بل السبب في بعض الأحاديث هو : الإسهال

وفي بعضها السبب : هو الخيلاء والبطر مع الإسهال .

والحكم مختلف أيضا :

فالأحاديث التي فيها الإسهال فيها الوعيد بالنار .

والأحاديث التي فيها الخيلاء فيها الوعيد بالإعراض عن فاعله وعدم النظر إليه .

فاختلف الحكم والسبب ، فلا يُحمل المطلق على المقيد قولاً واحداً ."

"..ثم لو فرضنا أن السبب هو الإسهال فقط ، فإن الحكم مختلف ، لأن أحاديث الإسهال المجرد

جاء فيها الوعيد بالنار ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي

النار .

والأحاديث التي جاء فيها ذكر الخيلاء جاء فيها تشديد العقوبة ، كما في قوله صلى الله عليه

وسلم : من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة . رواه البخاري .

وقوله صلى الله عليه وسلم : لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطرا . رواه البخاري .

"وفقه الإمام البخاري في تبويبه ، ولذا بَوَّبَ على أحاديث الإساءة بقوله :
باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار . وبَوَّبَ على الأحاديث الأخرى التي فيها التشديد بقوله :
باب من جر ثوبه من الخيلاء . ولو كان يُحْمَلُ المطلق على المقيّد هنا لما فَرَّقَ بين الأحاديث ."
(39) .

4 - جواب من احتج بحديث أبي بكر - رضي الله عنه -

قال الذهبي - رحمه الله - :
"وكذلك نرى الفقيه المترف إذا ليم في تفصيل فرجية -نوع من اللباس- تحت كعبيه، وقيل له: قد
قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار" يقول:
إنما قال هذا فيمن جر إزاره خيلاء وأنا لا أفعله خيلاء.
فإنه يكابر ويبرئ نفسه الحمقاء، ويعمد إلى نص مستقل عام فيخصه بحديث آخر مستقل بمعنى
الخيلاء، ويترخص بقول الصديق: (إنه يا رسول الله يسترخي إزاري) فقال: "لست يا أبا بكر ممن
يفعله خيلاء"
فقلنا: أبو بكر رضي الله عنه لم يكن يشد إزاره مسدولاً على كعبيه أولاً ، بل كان يشده فوق
الكعب، ثم فيما بعد يسترخي. وقال عليه الصلاة والسلام :
"إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بين ذلك وبين الكعبين" ومثل هذا في النهي لمن
فصل سراويله مغطياً لكعابه، ومنه طول الأكمام زائداً، وتطويل العذبة، وكل هذا من خيلاء كامن في
النفوس، وقد يعذر الواحد منهم بالجهل، والعالم لا عذر له في تركه الإنكار على الجهلة "إهـ (40)
وقال العثيمين في سلسلة فتاوى ورسائل العلماء 3 :
وأما من احتج بحديث أبي بكر رضي الله عنه فنقول له ليس لك حجة فيه من وجهين :

(39) عبد الرحمن السحيم (عضو مركز الدعوة والإرشاد بالرياض) \الفتاوى 411

(40) سير أعلام النبلاء 3/234

الأول أن أبا بكر رضي الله عنه قال إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه فهو رضي الله عنه لم يرخ ثوبه اختيلاً منه بل كان ذلك يسترخي ومع ذلك فهو يتعاهده . والذين يسبلون ويزعمون أنهم لم يقصدوا الخيلاء يرخون ثيابهم عن قصد ، فنقول لهم : إن قصدتم إنزال ثيابكم إلى أسفل من الكعبين بدون قصد الخيلاء عذبتهم على ما نزل فقط بالنار ، وإن جررتم ثيابكم خيلاء عذبتهم بما هو أعظم من ذلك لا يكلمكم الله يوم القيامة ولا ينظر إليكم ولا يزكيكم ولكم عذاب أليم.

الوجه الثاني أن أبا بكر رضي الله عنه زكاه النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له أنه ليس ممن يصنع ذلك خيلاء فهل نال أحد من هؤلاء تلك التزكية والشهادة ؟ ولكن الشيطان يفتح لبعض الناس المتشابه من نصوص الكتاب والسنة ليبرر لهم ما كانوا يعملون والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم . اهـ

"..الحديث الذي استدلل به على جواز الإسبال ليس فيه مستمسك له لعدة اعتبارات :

الأول : أن الحديث رواه البخاري في فضائل أبي بكر رضي الله عنه ، بلفظ : من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة . فقال أبو بكر : إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لست تصنع ذلك خيلاء .

ثانياً : هذه تزكية من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ، فمن يُزكى غيره على أنه لا يفعله خيلاء ؟ ثالثاً : فرق بين من يتعمّد إرخاء ثوبه وإطالة ثيابه أو سراويله تحت الكعبين ، وبين من يسترخي إزاره ، ثم يتعاهده ويرفعه .

قال الحافظ ابن حجر - 10/255 - : " فكأن شدة كان ينحل إذا تحرك بمشي، أو بغيره بغير

اختياره، فإذا كان محافظاً عليه لا يسترخي، لأنه كلما كان يسترخي شدة . اهـ

وأبو بكر رضي الله عنه إنما حصل ذلك منه لأنه كان نحيل الجسم فلا يتماسك الإزار على حقويه ، وهو مع ذلك يتعاهد إزاره ، كلما استرخى رفعه .

والنبي صلى الله عليه وسلم قال : موضع الإزار إلى أنصاف الساقين والعضلة ، فإن أبيت فأسفل ، فإن أبيت فمن وراء الساق ، ولا حقّ للكعبين في الإزار . رواه الإمام أحمد والنسائي .

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن سليم وقد أسلم لتوّه : وإياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة . رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي في

الكبرى . اهـ (41)

قال ابن باز - رحمه الله - :

وأما قصة الصديق رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده فقال له النبي عليه الصلاة والسلام إنك لست ممن يفعله خيلاء . فهذا في حق من كانت حاله مثل حال الصديق في استرخاء الإزار من غير كبر وهو مع ذلك يتعاهده ويحرص على ضبطه فأما من أرخى ملابسه متعمدا فهذا يعمه الوعيد وليس مثل الصديق. (42)

وقال الألباني - رحمه الله - :

".. وهنا شبهة ترد كثيراً وكثيراً في مثل هذه المناسبة، يقولون: إن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قال في الحديث السابق: (من جر إزاره خيلاء)، فنحن اليوم سواءً كنا شباباً أو شيوخاً، لا نجر الثياب تحت الكعبين خيلاء، وإنما هو عادة و(موضة) ويحتج أولئك بما جاء في صحيح البخاري: أن أبا بكر رضي الله عنه لما سمع هذا الوعيد الشديد لمن يجر إزاره خيلاء قال: (يا رسول الله! فإن ثوبى يقع، فقال له عليه السلام: إنك لا تفعله خيلاء)، فيتمسك أولئك بقول الرسول عليه الصلاة والسلام هذا لأبي بكر، ويحتجون به على أن إطالة الثوب تحت الكعبين إنما يكون ممنوعاً إذا اقترن بهذا القصد السيئ، ألا وهو: الخيلاء والتكبر. الآن أقول: جوابي على هذا من وجهين اثنين:

الأول: أن أبا بكر رضي الله عنه لم يقل: أنا حينما أفصل ثوبى أجعله طويلاً تحت الكعبين لا أقصد بذلك الخيلاء، وإنما قال: يقع! وهذا يعرفه الذين اعتادوا أن يلبسوا العباءة، فقد تكون العباءة مُفَصَّلة حسب السنة، أي فوق الكعبين؛ لكن مع الانطلاق والسير والعمل والصلاة تصبح العباءة متدلّية إلى الخلف فتنزّل إلى ما تحت الكعبين.. هذا هو الذي أشار إليه أبو بكر في سؤاله، وقال له الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (إنك لا تفعله خيلاء).

أما أن يأتي الرجل فيُفَصِّل الثوب -أيّ ثوبٍ كان مما سبقت الإشارة إليه- طويلاً خلافاً للشرع، ويبرر ذلك بأنه لا يفعل ذلك خيلاء، فهذا من تلبّيسات الشيطان على بني الإنسان.

(41) المصدر ما قبل السابق : (39)

وبعد هذا نقول في الجواب عن هذه الشبهة، بعد أن أوضحنا أن حديث أبي بكر الصديق إنما يعني الثوب الذي يستطيل بدون قصد صاحبه، ما لم يُوصَلْ صاحبه ويفصله طويلاً تحت الكعبين، ويدّعي أنه إنما يفعل ذلك بغير قصد الخيلاء، نقول: ليس من المفروض في المجتمع الإسلامي الصحيح أن يعمل المسلم -فضلاً- عن جماهير المسلمين - عملاً يحتاج كل منهم إلى أن يبرر هذا العمل بحسن النية، فهذا الأمر لا يكاد ينتهي، وهذا يخالف نصوصاً من الأحاديث الصحيحة التي تربي المسلم على ألا يعمل عملاً، وألاً يتكلم كلاماً، وألاً يقول قولاً يحتاج بعد ذلك كله إلى أن يقدم له عذراً، حيث قال عليه الصلاة والسلام: (لا تَكَلِّمَْنَّ بكلام تعتذر به عند الناس) هذا خاص بالكلام؛ لكن يأتي الحديث الآخر يشمل ويشمل غيره من الأعمال، ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (إياك وما يُعْتَدَرُ منه!). فمن يطيل ثوبه تحت الكعبين، فيُنْكِرْهُ عليه العارف بالسنة، فيقول: يا أخي! أنا لا أفعل ذلك خيلاءً، - كما قال أبو بكر الصديق

فأولاً: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف أبا بكر الصديق، وعرف تواضعه، وأنه قد تبرأ من الكبر ولو ذرة منه، فقال وشهد له بأنه لا يفعل ذلك خيلاءً، فليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد يستطيع أن يشهد مثل هذه الشهادة لإنسان آخر، لا سيما في مثل هذه المجتمعات الفاسدة.

وثانياً: قد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر: (أزرة المؤمن إلى نصف الساق ...) هذا الحديث يضع لك منهجاً عملياً يجب أن تلتزمه، دون أن تبرر مخالفتك إياه بحجة أنك لا تفعل تلك المخالفة خيلاءً، حيث يقول: (أزرة المؤمن إلى نصف الساق، فإن طال فإلى الكعبين، فإن طال ففي النار). فهنا لا يُسَمَّعُ من أحد يطيل ثوبه إلى ما تحت الكعبين أنه لا يفعل ذلك خيلاءً؛ لأننا نقول: إنك تفعل ذلك مخالفة لهذا النهج النبوي، وانتهى الأمر، أما إن انضمَّ إلى ذلك أنك فعلته خيلاءً فقد استحققت ذلك الوعيد الشديد، ألا ينظر الله تبارك وتعالى إليك يوم القيامة نظرة رحمة. ذلك هو ما ابتلي به شباب اليوم، لا سيما وهم يتخذون ذلك من باب اتباع التقاليد الأوروبية والموضة الغربية، من إطالة السروال -أعني: البنطلون- حتى يكاد يتهرئ من أسفل بسبب اتصاله بالأرض، فهذا محرم لا يجوز؛ سواء قصد لابسُه الخيلاء أو لم يقصده، وهي في الأصل ابتدعت من هناك تكبراً وخيلاءً، لا شك في هذا ولا وريب؛ لأن الكفار لا يهتمهم في هذه الدنيا إلا التمسك بحب الظهور والتكبر على الناس ونحو ذلك، وما دام أن هذه الأزياء إنما تأتينا من تلك البلاد فهي لم يُقَصَدَ بها قطعاً وجه الله تبارك وتعالى، إنما قُصِدَ بها وجه الشيطان. وهذا الكلام يشمل كل الأزياء التي ترد إلى هذه البلاد الإسلامية؛ سواء ما كان منها متعلقاً بأزياء الرجال أو بأزياء النساء، فكيف ما كان منها مخالفاً لمثل

ذلك الحديث الصريح الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (أزرّة المؤمن إلى نصف الساق، فإن طال فإلى الكعبين، فإن طال ففي النار)؟! هذا مما يجب على كل مسلم يغار على دينه ويهتم به أن يكون بعيداً عن غضب ربه تبارك وتعالى عليه، ولا نقول: هو حريص على اتباع السنة؛ لأن السنة مراتب، قد تدخل تحتها الأمور المستحبة، نحن الآن نتكلم عن الأمور الواجبة، انظر الحديث السابق: (أزرّة المؤمن إلى نصف الساق ...) هذا هو المستحب؛ لكن إذا أطاله إلى الكعبين فهذا جائز وليس بمحرم؛ لكن إن زاد في الإطالة حتى تحت الكعبين فهذا محرم وصاحبه في النار.. إه

* * * * *

قلتُ : هَذَا آخِرُ مَا يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لِي جَمْعُهُ وَتَرْتِيبُهُ؛ فَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمِنْ نَفْسِي وَمِنْ الشَّيْطَانِ؛ وَإِنْ أَصَبْتُ فَمِنْ الرَّحْمَنِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَبُو مُقْبِلٍ رِضْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَبَّان

- غفر الله له ولوالديه -

دوسلدورف - ألمانيا

لِعَشْرِ أَيَّامٍ بَقِيَتْ مِنْ رَمَضَانَ الْأَبْرِكَ عَامَ 1428

لهجرتِه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم - .